

التذكير بالموت

اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الغوي اللعين الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ، عباد الله استعدوا فقد نودي للرحيل الى عالم لا ينفع فيه الا ما قدمنا من خير لانفسنا، فان كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز.

استعدوا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم، فقد قال تعالى: (أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) وقال تعالى: (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)، وقد اقسم الله تعالى بان كل البشرية الى الخسران عدا من استتنتهم السورة المباركة (والعصر، ان الانسان لفي خسر، الا-لاحظ الاستثناء- الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر). اللهم فاجعلنا من المؤمنين العاملين ومن المتواصين بالحق والصبر ياكريم.

وفي مقام المواصاة لبعضنا البعض علينا ان نتذكر ما حدث في الايام القليلة الماضية، فقد جاءنا رسول من الله تعالى ليتم علينا الحجة البالغة ليهتدي من اهتدى عن بينة وليضل من ضل عن بينة (قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم لهداكم اجمعين). اعني رسل الموت والفناء من عالم الدنيا، ومن حضر مراسيم الدفن- الذي كان باشراف المشايخ العلماء وكادر الحسينية في الجمعة الماضية، فان من حضر- لاريب انه قد تصور نفسه هو المسجي، وتصور انه المكفن، وتصور انه العاري الذي يحركه غاسله كيف يشاء، واخذتنا الرهبة لما رأينا التراب يهال على جسده واختنقنا وكاننا نحن داخل اللحد الضيق، واصابتنا الوحشة لما رأينا تفرق الاهل والاحبة عن الجسد وفكرنا بحالنا اذا ثرنا في الحفرة العميقة بين اشلاء الموتى والقيود تحد اجسامنا، والليل يسدر بضلامه علينا بوحشته ووحدته ولا انيس الا الدود، وهل يسمى من ياكل الابدان انيسا؟

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه واله وسلم الامر بزيارة القبور وحضور الجنائز، ففيما يروى عنه انه قال: اذا دُعيت الى الجنائز فاسرعوا فانه يذكر الآخرة. وورد عنه ايضا صلوات ربي عليه واله: زوروا قبور موتاكم وسلموا عليهم فان لكم فيهم عبرة، ثم قال: القبر اول منزل من منازل الآخرة، فان نجا منه فما بعده ايسر منه، وان لم ينج منه فما بعده شر منه.

ولكن هل حضرنا الجنائز وراينا الدفن لمجرد الواجب الاجتماعي والخوف من العتب؟ ام لتذكر الموت واغتنام الموعدة؟

ومن هنا نقول: عباد الله في حينها هل ارعونا؟ وهل اخذنا من انفسنا العهد والميثاق بطاعة الله تعالى؟ وهل تغير حالنا لما شاهدنا الموت؟؟ ام لا؟؟ الحال هو الحال بلا تغير فمن تلك الجمعة الى اليوم لم نزد بعبادتنا ولم نقل من معاصينا؟ فماذا ننتظر؟؟ هل ننتظر ان نعيش الموت، بمعنى ان نُجربه؟ ولكن يانفس اعلمي: ان جربتي الموت فلا رجعة لك بعدئذ، فقد قال اصدق القائلين: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ).

ومما يروى عن احد الصالحين انه حفر في فناء بيته حفرة تشبه اللحد لينام فيها ويتذكر الموت، فاذا دخل فيها وشعر بضيق اللحد والاختناق بكى وقال: رب ارجعون لعلني اعمل صالحا، فيجيب نفسه: كلا إنها كلمة هو قائلها، ومن ثم يطيل الرجاء من الله عز وجل بارجاعه الى دار الدنيا وياخذ الله على نفسه الحجج والمواثيق بالنزاهة طاعته، عندها يجيب نفسه: ها قد ارجعناك واطلنا عمرك لنرى عملك، فيقوم من الحفرة على اتم مراتب النشاط والعمل.

ولكن يا اخوتي هذه مجرد قصة من تاليف الانسان، اما في الموت الحقيقي يوم يرقد الانسان بحفرته التي لا يملك سواها فلا بيوت ولا شقق ولا اراضي طويلة عريضة ولا املاك ولا اي شيء، في تلك الحفرة لو رأى العذاب وتيقن بفوات الاوان للعمل الصالح، فيطلب الرجعة فلا رجعة ابداء، بل ياتي الجواب معاكسا لمطلبه

فيسمع صوتنا يناديه ان يا فلان استعد لاهوال القبر وعذاب القبر او استعد لراحة القبر وسعادة القبر، فانه روضة من رياض الجنان، او حفرة من حفر النيران، كما ورد عن المعصومين سلام الله عليهم اجمعين. وفيما كتب مولانا امير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن ابي بكر رضوان الله عليه: يا عباد الله ما بعد الموت لمن لا يغفر له اشد من الموت ، القبر فاحذروا ضيقه وضنكه وغريته ، إن القبر يقول كل يوم : أنا بيت الغربية ، أنا بيت الوحشة ، أنا بيت الدود ، والقبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار . وإن العبد المؤمن إذا دفن قالت له الأرض : مرحبا وأهلا ، قد كنت ممن أحب أن تمشي على ظهري ، فإذا وليتك فستعلم كيف صنيعي بك . فيتسع له مد البصر . وإن الكافر إذا دفن قالت له الأرض : لا مرحبا بك ولا أهلا ، لقد كنت من أبغض من يمشي على ظهري ، فإذا وليتك فستعلم كيف صنيعي بك . فتضمه حتى تلتقي أضلاعه . وإن المعيشة الضنك التي حذر الله منها عدوه ، عذاب القبر ، إنه يسלט على الكافر في قبره تسعة وتسعين تينا ، فينهش لحمه ، ويكسرن عظمه ، يترددن عليه كذلك إلى يوم يبعث . لو أن تينا منها نفخ في الأرض لم تثبت زراعا . يا عباد الله إن أنفسكم الضعيفة وأجسادكم الناعمة الرقيقة التي يكفيها اليسير تضعف عن هذا ، فإن استطعتم أن تجزعوا لأجسادكم وأنفسكم بما لا طاقة لكم به ولا صبر لكم عليه فاعملوا بما أحب الله واتركوا ما كره الله.

وذاك ابو ذر الغفاري رضوان الله عليه، ومن منا لايعرف هذا الانسان المجاهد العابد العالم، الذي عاش مقارعا للظلم والظالمين ومات في الغربية وحيدا فريدا، وذاق اشنع انواع التعذيب على ايدي الحكام والسلاطين لانه كان ممن يقف عند بيوتهم ويقرا عليهم ايات الموت وايات الظلم وايات كنز الاموال ويذكرهم بواجبهم، حتى صار الغفاري فاضحا لكل وال وسلطان، وصاروا يدفعون الاموال للحكام من اجل تخليصهم من الغفاري، ويكفيه ما ورد من انه اصدق انسان على وجه المعمورة كما شهد المعصومون بذلك.

ومع هذا الايمان الصادق الا اننا نراه يوم دفن ابنه ذر يقول مخاطبا اياه: ولولا هول المطلع لسرني ان اكون مكانك. فاي هول هذا الذي يستغيث منه الصادق المجاهد العالم؟ الهي فكيف بعبدك الضعيف العاصي؟ الذي اضاع عمله بسوء ادائه لاوامرك، والذي عصاك فلم يبالي بغيبته من لا تجوز غيبته، والنميمة والفساد في الارض، ولم يبالي بالاكل كيفما كان ومن اين كان، ولم يتق الله عز وجل في اعراض الناس وحقوقهم، وما كف اسماعه عن سماع الغناء المحرم، او عيونه عن النظرة الحرام، فاذا كان الامام زين العابدين عليه السلام يقول في دعائه المعروف بدعاء ابي حمز الثمالي: وَاعْتَبِي بِالْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِي ، فَقَدْ أَقْبَيْتُ بِالسُّوَيْفِ وَالْأَمَالِ عُمْرِي ، وَ قَدْ نَزَلْتُ مَنزِلَةَ الْأَيْسِينَ مِنْ خَيْرِي ، فَمَنْ يَكُونُ أَسْوَأَ حَالاً مِنِّي إِنْ أَنَا نُقِلْتُ عَلَى مِثْلِ حَالِي إِلَى قَبْرِ ، لَمْ أَمْهَدْهُ لِرَفْدَتِي ، وَ لَمْ أَفْرُشْهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ لِضَجْعَتِي ، وَ مَالِي لَا أَبْكِي وَ لَا أَدْرِي إِلَى مَا يَكُونُ مَصِيرِي ، وَ أَرَى نَفْسِي تُخَادِعُنِي ، وَ أَيَّامِي تُخَاتِلُنِي ، وَ قَدْ حَقَّقْتُ عِنْدَ رَأْسِي أَجْنِحَةَ الْمَوْتِ ، فَمَالِي لَا أَبْكِي ، أَبْكِي لِخُرُوجِ نَفْسِي ، أَبْكِي لِظُلْمَةِ قَبْرِي ، أَبْكِي لِضَيْقِ لِحْدِي ، أَبْكِي لِسُؤَالِ مُتَكْرِرٍ وَ تَكْيِيرِ إِيَّايَ ، أَبْكِي لِخُرُوجِي مِنْ قَبْرِي عُرْيَاناً ذَلِيلًا حَامِلًا ثِقْلِي عَلَى ظَهْرِي ، أَنْظُرُ مَرَّةً عَنْ يَمِينِي وَ أُخْرَى عَنْ شِمَالِي ، إِذِ الْخَلَاتِقُ فِي شَأْنٍ غَيْرِ شَأْنِي.

واختتم كلامي بما قاله احد العلماء: انه طلب مني ان اغمض عيني وافكر: اني في حفرة، ضيقة، مظلمة، موحشة، والتراب علي، والدود ياكل عيوني، والملكان من حولي يسالاني عن عمري فيما افنيته، والنتيجة لا تخلو من اثنين: اما الى الرضوان والجنة، واما الى السخط والعذاب والحرق وجهنم والنيران. يقول هذا العالم ما فكرت في هذا الامر الا وفقدت وعيي فمن يحمل ذلك خصوصا وقد ورد ان الروح الانسانية ترجع الى الجسد بعد ان يهال التراب على الميت مباشرة فيرجع الانسان على نفس حاله في الدنيا، فهل نحن على استعداد لتجرب هذا قبل النوم في كل يوم ولو لدقيقة واحدة، فكلما وضعت راسك على الوسادة واغمضت عينك فكر وتصور نفسك في حفرة، ضيقة، مظلمة، موحشة، والتراب عليك، والدود ياكل عيونك، والملكان من حولك يسالانك عن عمرك فيما افنيته، والنتيجة لا تخلو من اثنين: اما الى الرضوان والجنة، واما الى السخط والعذاب والحرق وجهنم والنيران.

اللهم وسَيِّدِي أَخْرَجْ حُبَّ الدُّنْيَا مِنْ قَلْبِي ، وَ اجْمَعْ بَيْنِي وَ بَيْنَ الْمُصْطَفَى وَ إِلِهِ خَيْرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ وَ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ .
والسلام عليكم والرحمة والبركات

الشيخ
محمد البهادلي
iraqi_alsalam@hotmail.com